الامراض حيوانات وعلاج هذه غير علاج تلك. ومن خواص الجلسيات انها تعتاد على بعض الادوية فلا تعود الادوية تؤثر فيها وهذا ما جعل ارلخ يفكر في ايجاد علاج فعّال يتناولهُ بجرعة واحدة او جرعتين فاخذ يبحث في مركبات الزرنيخ الآلية وغيرها فاكتشف مركبًا لعلاج كل من داء النوم والزهري وحمى الريع وحمى تكساس يقتل الجراثيم التي تسبب هذه الامراض دون ان يلحق ضررًا بالمصاب

فيظهر من ذلك ان الطب تقدم كثيرًا في هذه السنوات فيما يختص بالوقاية والعلاج. فبعض الامراض كالجدري والكلب والبثرة الحبيثة يمكن الوقاية منهُ بالتلقيح وربما امكن ايضًا الوقاية من الكوليرا والحمى التيفويدية والطاعون. وبعض الامراض يشفى بعلاجهِ بالمصل كالدفتيريا والكزاز وسم الحيات وحمى النفاس والحمرة وربما امكن ايضًا شفاء الكوليرا والطاعون والحمى التيفويدية. اما الامراض التي سببها احياء حيلية كالملاريا وداء النوم والزهري وما اشبه فان الطب سائر سيرًا حثيثًا في اكتشاف دواء خاصٍّ لكلٍّ منها

الطاعون والجرذان

قلما يمضي يوم ولا يموت واحد او اكثر بالطاعون في هذا القطر. وقد مرّت سنوات كثيرة والحال على هذا المنوال لا تزيد الوفيات حتى يقال ان الوباء انتشر في القطر ولا تنقطع حتى يقال انهُ زال منهُ تمامًا. ولا نعلم ان احدًا بحث بحثًا علميًّا مدققًا عن سبب بقاء الطاعون في اماكن مختلفة من القطر المصري وعدم انتشاره فيهِ واتخاذهِ الصفة الوبائية العادية مع ان ميكروبهُ لم يزل قتالاً كما كان في العصور الخالية فقد مات بهِ في بلاد الهند منذ سبع سنوات اكثر من مليون نفس ومات بهِ الوف كثيرة هذه السنة في الصين ومنشوريا

ولم يكن الاقدمون يعرفون سبب الطاعون ولا كيف تنتشر عدواهُ اما الآن فعرف ان سببهُ ميكروب من الميكروبات وان عدواهُ تنتشر عادة بواسطة الجرذان بل بواسطة البراغيث التي تكون في ابدان الجرذان. فيظهر الوباء في الجرذان اولاً ثم ينتقل منها الى الناس بواسطة البراغيث التي تكون في ابدانها وتنتقل منها الى بدن الانسان. فالطاعون اصلاً وبأ من اوباء الجرذان ينتقل منها الى الانسان. ولهُ اربع بؤر لا ينقطع منها الواحدة منهُ في ولاية يونان ببلاد الصين والثانية في سفح جبال حملايا بالهند والثالثة في اوغندا في قلب افريقية والرابعة في بلاد العرب. ويقال الآن انهُ ليس اصلاً في الجرذان بل هو دخيل فيها

واصلهُ في نوع من القواضم يعرف بالمرموط وهو حيوان صغير يشبه الجرذ لكنهُ اكبر منهُ يعادل الهر ويقال ان الطاعون دائم فيهِ وينتقل منهُ بالعدوى الى الجرذان

والطاعون دائم في بلاد الهند لا يمضي يوم من غير ان يموت فيها بعض المطعونين ولكنهُ لا يصير وبائيًّا فتاكًا الاَّ في سنين متباعدة . ومنهُ نوع قتَّال تنشر عدواهُ بالنفث وهو الطاعون الرئوي . أُصيب بهِ شاب في بلاد الانكليز منذ اقل من سنتين وهو يبحث عن سبب العدوى فعمَّ واصابهُ صداع كأنهُ أُصيب بالنزلة الوافدة ثم اصابهُ هذيان وسعال مستمر . فان ميكروب الطاعون دخل رئتيهِ ونما فيهما وتكاثر وجعل يخرج مع نفثهِ وينتشر حولهُ فقام اثنان من اخوانهِ الاطباء على تمريضهِ وهما ملتصقان بالقفص المذعور حتى اذا اصابهما نفثهُ تعلق جراثيم الطاعون بالقطن ولا تصل اليهما ولم يسمح لاحد ان يدنو منهُ غيرهما لكن العلاج والتمريض لم يفيدا شيئًا فقضى شهيد العلم

واصيب في العام الماضي اربعة بالطاعون الرئوي في بلاد الانكليز وتوفوا كلهم واُخذت الاحتياطات الواقية فلم تنتقل العدوى الى غيرهم . لكن الطاعون الرئوي قليل الحدوث على شدة عدواهُ وشدَّة فتكهِ فانهُ يقتل ٩٥ في المئة من الذين يصابون بهِ . اما الطاعون العادي المعروف بالطاعون الدبلي فلا ينتقل بالنفث كالطاعون الرئوي ولا بالطعام ولا بنحو ذلك من وسائل العدوى بل بالبراغيث فانهُ يتولد اولاً في الجرذان كما تقدَّم ومتى اُصيب بهِ الجرذ تكاثر ميكروبهُ في جسمهِ وصار في كل نقطة من دمهِ الوف والوف الوف منهُ . والجرذ يرغوث يعيش في بدنهِ بامتصاص دمهِ فاذا امتصَّ دم جرذ مطعون امتصَّ معهُ كثيراً من ميكروبات الطاعون . وقد حسبوا انهُ يمتص في بعض الاحيان خمسة آلاف ميكروب ثم ينتقل الى جرذ آخر ليمتص دمهُ فينقل اليهِ عدوى الطاعون . وعلى هذا النمط ينتشر الطاعون بين الجرذان وبينها حتى اذا لم تجد براغيثها حيواناً آخر تتغذى من دمهِ هاجمت الانسان ونقلت العدوى اليهِ

ولكن الجرذان انواع مختلفة وقد بحث العلماء ليعرفوا اي الجرذان يصاب بالطاعون واي البراغيث ينقل عدوى الطاعون الى الانسان فوجدوا ان الجرذان التي توجد في الحقول قلما تدخل البيوت فلا خطر منها على الانسان وان الجرذان التي تسكن البيوت في محل الخوف . وفي الهند اربعة انواع منها اثنان كبيران والظاهر ان ليس لها شأن في انتقال الطاعون والنوعان الباقيان هما العلة الكبرى احدهما جرذ الكنف والاسراب وهو رمادي اللون وقد انتشر من الهند في كل البلدان . والثاني الجرذ الاسود ويفرق عن الاول بلونهِ وطول ذنبهِ

واتساع اذنيهِ . والاول يعيش في الاسراب والكنف كما تقدم وقلما يدخل منازل الناس الاَّ اذا جاع واما الثاني فاقامتهُ في البيوت حتى يكاد يكون اليفاً والهنود لا يأنفون منهُ ولا يحاولون قتلهُ و يوجد غالباً في جدران البيوت المبنية بالطوب (اللبن) وفي السقوف بين الروافد والالواح وتحت الصناديق والخزائن . وهو في بلاد الهند اكثر من الجرذ الرمادي فاكثر انتشار الطاعون يكون بهِ والبراغيث هي الصلة بينهُ و بين الانسان اي بين دمهِ ودم الانسان وقلما يوجد جرذ مطعون الاَّ وفي بدنهِ عشرون او ثلاثون برغوثاً وقد عدوا في جرذ مطعون مئة برغوث وفي بيت واحد في قرية من قرى الهند ثلثمئة جرذ فاذا كان في كلٍّ منها ثلاثون برغوثاً فقط ففي ذلك البيت تسعة آلاف تقال ينتقل عدوى الطاعون الى السكان

وقد وجدوا في الجرذان ستة انواع من البراغيث ثلاثة منها قليلة الوجود وهي برغوث الانسان ووجودهُ في الجرذان نادر جدًّا وبرغوث الكلب وهو اكثر وجوداً في الجرذ من النوع الاول ولكنهُ نادر ايضاً وبرغوث الفار ووجودهُ في الجرذان قليل . وثلاثة كثيرة الوجود في الجرذان اولها برغوث الفار ولكنهُ لا يلسع الانسان وثانيها برغوث الجرذ الاوربي وهو ايضاً لا يلسع الانسان الاَّ اذا جاع يومين او ثلاثة وثالثها برغوث الجرذ الهندي وهو يعيش على دم الجرذ وعلى دم الانسان ايضاً و ينتقل من الجرذ الى الانسان بسهولة فاذا وضعت براغيث الجرذ الهندي في زجاجة كبيرة وادخلت يدك فيها مجمعت عليها وعلقت بها لتمتص دمها

واذا كان البرغوث في جرذ مصاب بالطاعون وشبع من امتصاص دمهِ لا تزول منهُ ميكروبات الطاعون في نحو ثلاثة اسابيع واذا لم يجد جرذاً آخر يتغذى من دمهِ في هذه المدة جاع واغتذى من دم الانسان فامتزج دمهُ بدمهِ ونقل العدوى اليهِ

ثم ان البرغوث لا ينتقل من بلاد الى اخرى من تلقاء نفسهِ و يقال ان برغوث جرذ الهند لا ينتقل من نفسهِ ثلاثين متراً ولكنهُ ينتقل على بدن الجرذ . والجرذ الهندي قليل الانتقال ايضاً بنفسهِ ولكنهُ اذا دخل مركبة او سفينة انتقل بها الى حيث تنتقل فتنتقل البراغيث معهُ . والمظنون ان عدوى الطاعون وصلت الى بلاد الانكليز بجرذان اتت في سفينة من السفن . ويقال ان الطاعون وصل الآن الى كليفورنيا وان براغيث الجرذان انتقلت منها الى بعض الحيوانات كالارنب والسنجاب وخنزير الهند

وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان الطاعون موجود في القطر المصري ولكن حوادثهُ قليلة جدًّا كأنَّ عدواهُ تصل الى هذا القطر فتستأصل ولا تنتشر فيهِ ثم تأتي عدوى جديدة وهلمَّ جرًّا . افلا يفسَّر ذلك بان السفن التي تأتي من الهند وتمرُّ بالسويس والاسمعيلية و بورت سعيد

سفينة من سفن الهند وصلت الى بلاد الانكليز والجرذان تنزل منها وتصعد اليها

برغوث الجرذ الاوربي　　برغوث الطير　　برغوث الجرذ الهندي

علياً وقدمهُ على غيرهِ ولا حاجة في ذلك الى التفصيل مع انهُ لا موقع له

ثم قال محمد بن اسحق المعروف بابن النديم في فهرستهِ « لما خالف طلحة والزبير على عليّ وابيا الاَّ الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي ليقاتلهما حتى يفيئا الى امر الله جل اسمهُ فسمي من اتبعهُ على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتي وسماهم الاصفياء : الاولياء : شرطة الخميس : الاصحاب ثم ذكر معنى الشرطة وغيرهُ من الرجالين لم يذكروا الاَّ شرطة الخميس كما ذكرهُ من غير تعرض لتسمية علي اياهم بالشيعة

ولو صحَّ ذلك لما نافى مقصودنا اذ كلامنا فيما استقرَّ عليهِ الاصطلاح وهو الفارق المذهبي

واما افتراق الامة حتى الصحابة الى فرقتين (لا اقول الى شيعي وغيرهِ) فأصل الافتراق انما وقع في عهد الخليفة عثمان واما افتراقهم ايام حرب علي ومعوية فهو الى علوي وعثماني وكثيراً ما كانوا ينبزون عن العلوي بالترابي ولو عبروا عن اتباع عليّ بالشيعة لكانوا يعبرون عنهم بشيعة عليّ في قبال شيعة عثمان او شيعة معوية لا بالشيعة المطلقة المعبر بها في الازمان الاخيرة

واول هذا الافتراق كان من حرب الجمل ومن ايام طلب دم عثمان وخلافة عليّ كانت في الظاهر شورويةً نعم لما افضت الخلافة اليهِ اجتمع خلص اصحابهِ وغيرهم وعمل كلٌّ على شاكلتهِ

قال « وقد وقع هذا الانقسام نفسهُ في الحجاز ثم في الشام التي لم يطبق اهلها على مناوأة علي يومئذٍ فكان منهم من بقي على موالاتهِ فلهذا قلنا ان الشام في التشيع اقدم من فارس »

اقول : الموالاة غير التشيع فكم من موالٍ غير متشيع والامة كلهم موالون غير النصَّاب والخوارج ووقوع هذا الانقسام في الشام بعد الحجاز غير معلوم بل معلوم العدم فان معوية وان كان ابدى صفحتهُ للمخالفة من اول الامر لكن مقدمة الحرب بين العلوية والعثمانية انما استمرت من مكة وانجرت الى البصرة واختلاف الناس بين ناهض وقاعد ومستنفر ومثبط وقع في الكوفة قبل وقعة الجمل في امارة ابي موسى الاشعري وقصتهُ معلومة وكان كل اهل الشام اللهمَّ الاَّ القليل من المنحرفين عن علي والناس على دين ملوكهم

واما كون الشام اقدم في التشيع من فارس فقد صرحنا في مقالتنا السابقة بانهُ سيف بلاد العجم متأخر عن غيرها ومع ذلك كلهِ فتاريخ بدئهِ في الشام مجهول

قال « ولم يكن الاسلام في نفسهِ لذلك العهد قد تبسط في فارس حتى يتبسط فيها مذهب من مذاهبهِ فان لم يكن ثبت الاصل فكيف يثبت الفرع ؟ »

في الاولاد من يطيق الاستلقاء على ظهره ساعات متوالية وهو يناغي ويلعب بيديه بدون ادنى ضجر حتى اذا ما دنا وقت الرضاع بكى وتململ وربما وجد في تيقظ الام ما لا يحتاج معهُ الى البكاء. فهذا الفرق الذي نراهُ في الولدين على ماهو معلوم من مشابهة طباعهما ومطابقة تركيبهما في الاشهر الاولى ليس الاَّ نتيجة التربية فالاول عودتهُ امهُ ان يكون محمولاً وان يأكل في اي وقت وساعة والاخر عودتهُ امهُ ان يكون مستلقياً وان لا يطلب الغذاء الاَّ في اوقات معلومة ذلك لان الاولى كانت اذا بكى طفلها القمتهُ الثدي فاذا لم تنجح معها هذه الواسطة حملتهُ وجعلت تخطر في المنزل فيصيح وهو لا يسكت الاَّ على الحال التي تعودها في حين ان امَّ الآخر كانت اذا بكى طفلها تبحث عن اسباب بكائهِ فتزيلها فاذا استمرَّ على البكا تركتهُ وشأنهُ الى ان يسكت من لقائهِ فيعلم من ثم او بالحري يتعود على ان الصياح لا يجديهِ فائدة وهكذا يدرج الولد على عادات مكتسبة تجعلهُ يتخلق باخلاق خاصة ويتفرد باميال تميزهُ عن غيرهِ من الاطفال. فاذا كانت تلك العادات حسنة استراح واراح امهُ من عناء كثير وكان لهُ من ذلك استعداد لاكتساب اشرف الخصال وحزم على اقتحام اعظم الاعمال. وهذا ما يثبت لنا ان حياة الانسان في دورهِ الاول موكولة لعناية الام ورعايتها فهي التي تبث فيهِ روح المبادىء والطباع بحسب ما توحي اليها فطرتها ومكانتها من الاختبار حتى اذا نما الطفل جسماً وعقلاً نمت فيهِ تلك الاخلاق التي تأسس عليها وتأصلت فيهِ طباع امهِ التي وكلت اليها الطبيعة امر العناية بهِ والاستئثار بتربيتهِ فهي اذن مسؤولة عن سوء اخلاقهِ ممدوحة على حسن طباعهِ ولا يخفى ان الولد كالغصن الرطب تميل بهِ الاهواء كيفما مالت ولهذا يجب الاعتناء بتدبيرهِ وتدريبهِ وتهذيبهِ وتقويمهِ قبل ان يجف ويصلب. وهو بذلك يختلف عن الحيوان الاعجم الذي لا يحتاج طبعاً الاَّ الى القوت ولا يدرك شيئاً من واجبات التربية سوى ما تدفعهُ اليهِ السليقة من العناية بصغارهِ حتى تبلغ السن الذي تتمكن فيها من اعالة نفسها والاستقلال عن والديها

اما الانسان فانهُ مخلوق ادبي قابل للنمو العقلي كما هو قابل للنمو الجسمي على ان هذا النمو لا يتم من تلقاء نفسهِ بل يلزم لهُ من يعتني بصحتهِ ويقوّم سيرتهُ ويكسبهُ من الصفات الحسنة ما يؤهلهُ للاعمال السامية ويعظم ثقة الناس بهِ ورضاهم عنهُ لانهُ لا غنى للواحد عن الكل بل كلٌّ مفتقر الى ان يكون لهُ علاقة مع بني جنسهِ فاذا لم يكن حاويًا من شروط التهذيب والاستقامة ما يؤهلهُ للدخول بينهم والتعامل معهم سقط وكان ضربة على والديهِ ومصيبة على المجتمع الانساني

ولطالما رأينا من السيدات من لا تحسن سياسة الصغار لجهلها قواعد التربية فيشب اولادها على التمرد والعصيان وقد اتصل الامر ببعضهم ان يكيل لوالدته الصاع صاعين ويعيد اليها الشتيمة شتيمتين والضربة ضربتين وهي مع ذلك تبسم لهُ استحساناً ناسيت ما قالهُ الى الاطوار الصبيانية فيحول اعتقادها بذلك دون عقابهِ وعلى هذا تنتظر بلوغهُ السن التي فيها يعقل معنى تلك القبائح فيعدل عنها من تلقاء نفسهِ وقاتها ان من شبَّ على خلق شاب عليهِ وان العلم في الصغر كالنقش في الحجر

وقد يتصل العجز بالام الى ما وراء ذلك فتتوعد ولدها بشكايتهِ الى ابيهِ كلما اتى ذنباً حتى اذا حضر ذلك الوالد المسكين متعباً منهوك القوى الجسدية والعقلية اخذت تزيد في همومهِ وتضاعف متاعبهُ بسرد عيوب ابنها وتقبيح اعمالهِ وحينئذٍ فاما ان يغضي الاب عن مساوئ ابنهِ اكتفاء بما يساورهُ من الهموم الخصوصية وبذلك تسقط منزلة الام في عيني الولد لما يراهُ من عدم اكتراث ابيهِ بكلامها او يهيج غضب الاب لما هو عليهِ من التعب والانفعال فيوبخهُ بعنف ويضربهُ بقسوة لاجل ذنب سلف او اطفاء لنيران غضبهِ. وفي كلتا الحالتين لا تفيد العقوبة الولد بل هو يتعلم منها احتقار والدتهِ التي يجدها قاصرةً عن تربيتهِ بنفسها وكراهة والدهِ الذي يعاقبهُ على ذنب مضى وبقسوة وحشية لوفرة الذنوب التي تبلغها عنهُ

ومعلوم ان الولد لا يشعر بوقر الذنب الاَّ ساعة ارتكابهِ اياهُ ثم يزول هذا الشعور بزوال احمرار وجههِ ولولا ذلك لما كان يخطئ ثانياً وثالثاً الى ما شاء صغر سنهِ فعاقبتهُ اذن واجبة على اثر كل ذنب يأتيهِ والاَّ عدها ظلماً وعدواناً واضمر بسببها كرهاً لوالديهِ وحقداً عليهما فاذا شبَّ كان عقوقاً عاتياً لا يحترم لها ارادة ولا يشعر نحوها بانعطاف وحنان هذا فضلاً عما تجدهُ الام من التعب في سياسة اولادها مدة غياب ابيهم اذا كانوا لا يهابونها مثلهُ ولا يطيعونها كما يطيعونهُ. ولما كان الاب يغيب عادةً النهار بطولهِ كانت هي في عذاب دائم وعليهِ يجب ان تتولى هي بنفسها تربية الاولاد من عقاب ونصح وارشاد متخذة لكل من بنيها وبناتها ما يوافق طباعهُ واخلاقهُ من وسائل التهذيب ومتى فعلت ذلك نالت السلطان المطلق على افكارهم وارادتهم فتتمكن من تربيتهم تربية حسنة وتستريح من اتعاب كثيرة فان الام الراقية التي تعرف واجبات الامومة تستطيع ان تربي اولادها بدون مشقة كبيرة مهما كانوا كثاراً ولتقدر مع ذلك ان تقوم باعمال اخرى عديدة كالاعمال المنزلية والدرس والمطالعة وغير ذلك من الاعمال الشاقة. ومما يساعدها على ذلك رابطة الالفة وعامل الحب الطبيعي بينها وبين اولادها فاذا عرفت كيف تستعمل تلك العواطف في سبيل فائدتهم خضعوا لها وكانت

ثقتهم بها غير محدودة اذ لا يتكر ما للحب من السلطان على المخلوقات وما لهُ من التأثير على القلوب والافكار. وما كان الولد يميل بالطبع الى والدته اكثر من سائر الناس فهو لا يرى الاَّ رأيها ولا يتبع الاَّ ارادتها وعليهِ فلا يجمل بالأُم ان تهمل الاستفادة من هذه الثقة وتكل امر العناية باولادها الى الخدم الذين يجهلون قوانين التربية بل اذا كان فيهم من يعرفها فمن اينَ لهُ نظرات الأُم المؤثرة وابتساماتها الحلوة التي قد يكون منها اصدقُ مهذّبٍ واحسن رادعٍ عن الشر بل من اين لهُ الحنان الوالديّ الذي يجمع الصغار تحت جناح الحب والانصاف ويلم فيما بينهم بلحمة الاخاء والوفاق بحيث لا يكون ثمَّة تحاسدٌ او تباغض بل يهتمُّ كلٌّ من الاخوة بتقديم مصلحة اخيهِ على مصلحة نفسهِ. اما الاطفال الذين يحرمون هذه العناية فيشبون وهم اعداء لانفسهم ولغيرهم لا يميلون بل الاطلاق الى نفع سواهم واما هذا الميل فانهُ ينمو فيهم تدريجًا بعناية والديهم حتى يبلغوا طوراً يرون فيهِ لزوم خدمة غيرهم ويقدرون الفائدة التي تعود عليهم منها حق قدرها فيقومون بها عن طيبة خاطرٍ ويعلمون الواجب عليهم نحو اخوانهم الذين تجمعهم واياهم جامعة البشرية

ولكنَّ ما قالهُ شاعرنا الكريم حافظ افندي ابرهيم

الأُمُّ مدرسةٌ اذا اعددتها اعددت شعبًا طيبَ الاعراقِ
الامّ روضٌ ان تعهّدهُ الحيا بالرىّ اورق ايما ايراقِ
الأُمّ استاذُ الاساتذةِ الأُلى شغلت مآثرهم مدى الافاقِ

امرأتان عظيمتان

صدر في اوائل هذه السنة كتابان نفيسان احدهما يصف اعمال سيدة اميركية اسمها حنة ادمس والآخر يصف اعمال سيدة اوربية اسمها بارونة سوتنر والسيدتان من اكبر المتفضلات على نوع الانسان. وقد رأينا في مجلة المجلات الانكليزية كلامًا مسهبًا عنهما وعن كتابيهما فاقتطفنا منهُ ما يأتي

حنة ادمس

كان اليونان يحسبون ان النساء الفضليات هنَّ اللواتي لا يعرَف عنهنَّ شيءٌ غير ازواجهنَّ. اما الآن فما من امرأة فاضلة الاَّ واسمها معروف واعمالها مشهورة